ام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن
بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل
عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني
وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه
ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير
الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات
وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن
على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على
ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على
الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا
بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال
وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد
من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله الفصل بين
الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها
والذين رموا عائشة لم يكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا
عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف
للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره احتجاجا عليهم بما هو
ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل
به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين
الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة
حبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره
والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة

بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث
الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض اذ ظرف
لمسكم او افضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول
وتلقفه وتلقنه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على
الاصل تتلقونه وتلقونه بادغام الذال في التاء
وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه
محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفين سمعت امي تقرأ اذ تثقفونه
وكان ابوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فان قلت
ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت
معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا
الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في افواهكم من غير
ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما
ليس في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهي عند الله كبيرة موجبة
وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم
يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك
حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب
ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم
وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث
الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا نادي الا طار فيه والثاني
التكلم بما لا علم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من
العظائم فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم
قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء

من

Copyright © King Saud University